جامعة البصرة
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون التشكيلية
الدراسات العليا
الماجستـــــير

اسم التدريسي : اسماء سمير
اسم المادة : الجماليات المعاصرة لفن الرسم
عدد الوحدات : (٢)
تسلسل المحاضرة الرابعة ٢١ / ١٠ / ٢٠٢٤
عنوان المحاضرة : القراءة الاركيولوجية لفلسفة كانت وهيجل

ما هو التنوير ؟؟؟

((**إنه خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن النضج**)) (**ايمانوئيل كانت**)

شغلت الفلسفة الالمانية مكانة مهمة في تاريخ الفكر الغربي ، فمنذ القرن الثالث عشر وما بعده نشط العديد من الفلاسفة الالمان ممن عرفوا بتصوفهم وانحيازهم لعلوم اللاهوت امثال إيكهارت ، هاينريش زويزه ، يوهانس تاولر ، نقولاس الكوزاني، يعقوب بوهمه، أنجليوس سيلسيوس ، الا انه بين القرن السابع عشر والثامن عشر ومع صعود فكر التنوير (*) انحازت الفلسفة الالمانية نحو ربط المعرفة بثنائية المعقول والمحسوس بنوع من التوازن فثمة مغادرة للميتافيزيقيا المتعالية والكلاسيكيات التقليدية التي استبعدت المحسوس بوصفه زائف ومخادع لينفتح الفكر الفلسفي على القراءة النقدية وصولاً الى ميتافيزيقيا علمية على اعتبار ان العقل هو السبيل للوصول الى الحقيقة الكامنة خلف الظواهر فعصور ما قبل التنوير اتخذت موقفاً دوغمائياً (**) هيأت له الكنيسة وتقييدها لحرية الفكر تلك القيود التي منعت كوبرنيكوس خلال القرن السابع عشر من تقديم نظريته التي اقرت بمركزية الشمس مقابل مركزية الارض لبطليموس بما استدعى غضب الكنيسة لمخالفته المعتقدات الدينية وذلك الغضب طال مؤيدي نظرية كوبرنيكوس (الالماني كوبلر و الايطالي غاليلو) ومن هنا تعد الثورة الكوبرنيكية ثورة علمية احدثت شرخاً في تاريخ الفلسفة الغربية وخلخلة في يقينياتها التي استمرت بأعتقادها٢٠ قرناً بمركزية الارض و دعمتها الكنيسة لمدة ١٢ قرناً ، متهمة بالتكفير كل من يحاول التشكيك بصحتها .

*) **عصر التنوير** او**عصر المنطق** حركة فكرية فلسفية بل سياسية بالمقام الاول هيمنت على القارة الأوروبية وقد حدد المؤرخون الفرنسيون بداية عصر التنوير بالفترة ما بين وفاة لويس الرابع عشر في فرنسا في عام ١٧١٥ واندلاع الثورة الفرنسية- في عام ١٧٨٩ -التي أنهت نظام الحكم القديم، بينما يحددون نهاية هذا العصر مع بداية القرن التاسع عشر. وقد نشط فكر التنوير كردة فعل على الخرافات والاوهام للوصل بالفلسفة الى مصاف المنطق والعلم بعد ان هيأت لها حركة عرفت بالنهضة الانسانية مستفيدة مما قدمه نيوتن في مؤلفه (الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية ١٦٨٧) والذي صنف كأول الاعمال التنويرية ومن اهم انجازات التنوير على المستوى السياسي هو تقويض السلطة الملكية لتنهض الثورات السياسية كنوع من المقاومة وادانة الحكم الاستبدادي بما هيأ لقيام سياسات جديدة في القرن التاسع عشر كاليبرالية والحركة الكلاسيكية الحديثة وعللى المستوى الديني تقويض سلطة الكنيسة والدين ، اما على مستوى المعرفة فسيادة المعرفة العلمية القائمة على علوم الطبيعة والرياضيات بما استدعى الفكر الفلسفي اتخاذ موقفاً علمياً للخروج من الميتافيزيقيا االقائمة على التأمل الى ميتافيزيقيا علمية ، وذلك االموقف بين الدين والسياسة والمعرفة يحدد اهم مطالب التنوير الممثلة بالدعوة الى التحرر من دوغمائية الفكر

) **الدوغماؤية : وتعني النعسفية او الحكم القطعي يعود اصل المصطلح الى اليونانية وتعني لرأي أو المعتقد الأوحد الذي لا يقبل الدحض والمخالفة بما يجعل من الاستبدادية والمعصومية والدمغية أو اللادحضية والتعسفية مرادفات لممارسات الفكر الدوغمائي بتعبير ادق الدوغمائية هي التشدد في الاعتقاد الديني أو المبدأ الأيديولوجي، أو موضوع غير مفتوح للنقاش أو للشك. لذا تعرف على انها هي حالة من الجمود الفكري، يتعصب فيها الفرد لأفكارهِ رافضاً أي فكرة تخالفه ، وإن ثبت عدم صواب افكاره بل يحارب من اجل صحة أفكارهِ

اذن يبدو ان فكر التنوير اسست له الثورة العلمية منذ عصر النهضة (بين القرنين السادس والسابع عشر) مع الاكتشافات الفلكية لكوبرنيكوس وغاليلو ، اما رينيه ديكارت وفرانسيس بيكون فقد شككوا بكل شكل من اشكال المعرفة النظرية القائمة على الملاحظة والاستقراء دون التجربة .

ولاجل فهم اوسع لفلسفة كانت وهيجل تقتضي الضرورة نوع من القراءة الاركيولوجية لخطاب القارة الاوربية والاحداث التي انتجته خلال القرنين السابع و الثامن عشر ومن اهمها :

١- الثورة العلمية مع ما قدمه اسحق نيوتن حول قانون الجاذبية وتأثيراتها على مدارات الكواكب، لخصها بمصطلح (الميكانيكا السماوية) فميكانيكا نيوتن ذات منحى ثيولوجي (*) تفترض ان الاله مهندس ومعمار بارع عرف كيف يؤلف بين عناصر المنظومة الكونية ليحقق توازنا وثبات وحركة دورية ومتصلة . وهذه الاراء ناهضت الفلسفة الالية (**) لديكارت فأذا كان الاخير قد فسر حركة الكون تفسيرا سببياً بدراسة الظواهر وفق مسبباتها ونتائجها فأن نيوتن اتبع منهجاُ غائياً يفسر الظواهر الطبيعية في إطار الغاية (***) كذلك برزت العديد من الاكتشافات العلمية كاكتشاف ثاني أكسيد الكربون ، وحجة الزمن السحيق . واختراع محرك البخار المكثف كذلك انشاء أول مصانع كيميائية وإطلاق أول رحلة مأهولة في منطاد الهواء الساخن ،صياغة نظرية الأعداد والطوبولوجيا والتوافقيات ونظرية البيان والجبر والهندسة وفي الرياضيات التطبيقية ثمة مساهمات أساسية في الميكانيكا والهيدروليكا والصوتيات والبصريات وعلم الفلك

٢- صعود الوعي الثوري المقاوم لاشكال الحكم الاستبدادي ، فقد شهدت اوربا اضطرابات سياسية هيأت لقيام الثورة الفرنسية رافقها مطالبات بالتحرر والغاء التمايزات الطبقية وهذه قادت الى قيام فكر يدعوا الى الاطاحة بكل شكل من اشكال الحكم المطلق واستبداله بمفاهيم الحرية والحكومة الدستورية وفصل الدين عن الكنيسة والسياسة . ليقدم فولتير موقفه الفلسفي التنويري قي حقل الادب بالدعوة الى الحريات المدنية و الاصلاح الاجتماعي من خلال تقويض دوغمائية الكنيسة الكاثوليكية والمؤسسات الاجتماعية الفرنسية

٣- تراجع سلطة الكنيسة مع مطالبات بالحرية والتسامح والاخاء وتقويض العقائد الثابتة والملكية المطلقة للكنيسة الكاثوليكية .

---

*) **ثيولوجيا** : اللاهوت أو علم اللاهوت : و هي الدراسة المنهجية للطبيعة الإلهية، وعلى نطاقٍ أوسع، للعقيدة الدينية وتهتم بتقصي ما فوق الطبيعة ، ولكنها تتعامل أيضًا مع الإبستمولوجيا .

) **الفلسفة الالية : اتجاه فلسفي يرى أن الظواهر الطبيعية يجب تفسيرها في إطار قوانين السببية والنتائج التي تُفسر حركة الأشياء يعتقد فلاسفة هذا الاتجاه أن كل المظاهر الطبيعية يمكن إدراكها بمعرفة الحجم والشكل والنظام وحركة الجزيئات الصغيرة التي يُطلق عليها الذرات أو الجسيمات، ويُلخِّص هؤلاء فلسفتهم معتقدين أن العالم ما هو إلا آلة عملاقة، فكما يؤدي تدافع التروس والزنبركات والملفات إلى تشغيل الآلة، فإن تفاعل الذرات أو الجسيمات يؤدي إلى إحداث الظواهر الطبيعية المختلفة. لاقت الفلسفة الآلية معارضة من المذهب الغائي (تيليولوجي). والنظرية الغائية تُفسِرُ الظواهر الطبيعية في إطار الغاية أو الهدف. فعلى سبيل المثال لوطرحنا على هاتين الفلسفتين هذا السؤال، لماذا تتجه النار إلى أعلى؟ فسوف نتلقى إجابتين مختلفتين. الفلسفة الآلية ستجيب عن ذلك، بأن الذرات أو الجسيمات التي تُشعل النار تتصادم وبالتالي تتدافع إلى أعلى وفقًا لقانون التصادم، أما الفلسفة الغائية فستكون إجابتها: أن النار تندلع إلى أعلى سعيًا وراء مكانها الطبيعي بعيدًا عن الأرض .

***) **غائية** : هي النظرية التي تزعم أن كل ما في الطبيعة وما يجري فيها من عمليات إنما يتوجه إلى تحقيق غاية معينة، فالغائية هي علم الغايات؛ إذ ترى أن العلة هي الكامنة وراء أنواع التغيرات كلها، حتى السلوك الإنساني الأكثر عقلانية يفسر عامة بأنه خاضع لتأثير الغاية، والطبيعة أيضاً خاضعة للغاية، إلا أن الغاية فيها مزروعة بطريقة غير واعية، أما الإنسان فإنه يحدد غايته بطريقة واعية.

٤- صعود فلسفة الطبيعة التي استدعت تقويض الميتافيزيقيا التقليدية ثم الاحتفاء بالميتافيزيقية العلمية فقد اتخذ الخطاب التنويري موقفا ابستمولوجياً [*] مطالباً بتحليل ظواهر الطبيعة ودراستها تحليلاً علميا يقوم على التجريب وليس التأمل الذهني .

وهكذا نجد ان الارضية المعرفية (الابستيمي) لتلك الحقبة التاريخية تقوم على فاعلية العلم المقترن بالتجريب كأساس للتقدم والارتقاء بالفكر وبناء المجتمعات الحديثة ، فمنطق عصر التنوير هو منطق الواقع ذلك ان الحقائق لا تنكشف الا بالمشاركة بين العقل والتجربة ليحل العلم محل الميتافيزيقيا وان العلوم غادرت فكرة الثابت والمطلق لتنفتح على الطبيعة والعالم المادي مستفيدة مما طرحه نيوتن في مؤلفه (الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية)

مما تقدم يبدو ان اهم ما يميز عصر التنوير هو المعرفة العلمية فثمة هيمنة للعقل وحريته وهذه الفكرة وجدت تطبيقاتها في كافة المؤسسات والحقول المعرفية .

<u>الموقف الابستمولوجي الكانتي وتطبيقاته الجمالية</u>

استمد كانت افكاره من النظام المعرفي لعصر التنوير مجيباً عن سؤال ما هو التنوير ؟ بقوله " **إنه خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن النضج أو سن الرشد** " فقد دعى الاخير الى مغادرة التبعية وصنمية العقل والانفتاح على حرية الفكر محذراً من الطاعة العمياء للقادة أو رجال الدين لذا تضمنت مطالبه التنويرية مقولة : "اعملوا بعقولكم أيها البشر لتكن لكم الجرأة على استخدام عقولكم فلا تتكلوا بعد اليوم ولا تستسلموا للكسل والمقدور والمكتوب. تحركوا وانشطوا وانخرطوا في الحياة بشكل إيجابي متبصر)) . وفقاً لتلك المقولة يتخذ كانت موقفاً ابستمولوجياً محاولاً اصلاح وتهذيب الميتافيزيقيا الكلاسيكية من خلال تطبيق نظرية المعرفة ليضيف للميتافيزيقيا بعداً تحليلياً نقدياً فأذا كانت الميتافيزيقيا تبحث في جوهر الاشياء وفقاً لقانون السببية (العلاقة بين المسبب والاثر) فأن كانت يبحث في ماهية الاشياء وكيف تتشكل وفقاً لقانون التجريب فنظرية المعرفة لدى كانت تجمع بين العقلانية والتجريبية مؤكداً على ان استخدام العقل وحده دون التجربة لا يقود إلى المعرفة بل يقود إلى الأوهام. أما استخدام التجربة فلا يقود إلى معرفة دقيقة ولا يعترف بوجود مسبب أول الذي يعترف به العقل المجرد.

وهكذا يكون كانت قد هيأ لرؤية جديدة ناهضت النظام والمنطق الاستنباطي لدى العقلانيين عندما اعتقدوا بأمكانية تحصيل المعرفة عن طريق فهم المسببات الاولى دون الرجوع للوقائع المادية ومن جهة اخرى خالف التجريبيون على اعتبار ان الخبرة ومعرفتنا بالعالم لا تحقق من الخارج بل من داخل الذوات لذا جاء توصيف اصلاحات كانت بالثورة الكوبرنيكية . كتشبيه بما قدمه كوبرنيكوس في اصلاحاته في علوم الفلك .

أن المعرفة لدى كانت تتضمن مستويين يرتبطان بعلاقة احتوائية وهي :

[*]) الإبستمولوجيا تعني "العلم" أو المعرفة العلمية، واللفظ logos الذي يعني في أصله اليوناني" logos نظرية" أو "دراسة نقدية". وبناء عليه يكون لفظ إبستمولوجيا في أصله الاشتقاقي "نظرية العلم" أو "نظرية المعرفة العلمية."

- المعرفة العقلية: وهي المعرفة التي تأتي من العقل، وتشمل المعرفة العامة والمجردة.
- المعرفة الحسية: وهي المعرفة التي تأتي من الحواس، وتشمل المعرفة الخاصة بالأشياء المادية.

وفقاً لما تقدم يقدم كانت نظريته النقدية ضمن سلسلة مؤلفاته :

١- **نقد العقل الخالص ١٧٨١** : يناقش فيه عمليات الادراك وكيفيات تشكل المعرفة فقد ميز كانت بين المعرفة القبلية والمعرفة البعدية فثمة عمليات تحليلية تختص بها المعرفة القبلية وتركيبية تختص بها المعرفة البعدية لذا يكون كانت قد فرق بين الحكم التحليلي والحكم التركيبي

اذن يحدد كانت المعرفة بأتجاهين يرتبطان بعلاقة احتوائية

- المعرفة القبلية : وهي معرفة مستقلة عن التجربة (بديهية) وهذه معرفة كلية لا تقبل أي خطأ او استثناء و موجودة لدى كل الذوات كشرط إبستيمولوجي لإمكانية المعرفة الموضوعية .
- المعرفة البعدية : وهي معرفة مستقاة من التجربة(استدلالية) بمعنى ان المعرفة تكتسب استدلالاً عبر الحواس وهذه غير كلية قد تتضمن خطأ او استثناء

وهكذا يفترض كانت وجود نظام معرفي في داخلنا يحدد علاقتنا بالعالم الخارجي وخبرتنا أي ان الانطباعات الحسية لا تكون معرفة الا عندما تبنى وتنظم بواسطة العقل .

٢- **نقد العقل العملي ١٧٨٨**: استمراراً لمؤلفه السابق (نقد العقل الخالص) ويطبق فيه كانت نظريته النقدية حول المعرفة القبلية والبعدية والعلاقة بين المعرفة العقلية والحسية ولكن تطبيقها جاء على فلسفة الاخلاق اذ يفترض الاخير ان مصدر الاخلاق هو العقل مؤكداً بوجود قانون قبلي للاخلاق وهذه المعرفة موجودة لدى كل البشر فحتى المجرم يدرك قانون العقل وواجبه الاخلاقي . ومن هنا فأن امتثال العقل للواجب الاخلاقي يفضي الى الارادة الخيرة او كما يحددها كانت بالمعرفة البعدية فثمة علاقة بين المعرفة القبلية (العقل) والمعرفة البعدية (الارادة الخيرة) ، على انه يجب ان تكون الارادة الخيرة منزهة عن أي منفعة او ميول ودوافع والا انتفت ان تكون ارادة خيرة بهذا فأن كانت يقيم علاقة جدلية بين المعرفة القبلية والبعدية بين العقل والحواس ذلك ان القانون القبلي للاخلاق ينتمي الى منطقة العقل اما الارداة الصالحة فتنتمي الى منطقة الحواس والشعور الداخلي وان على الارادة ان تمتثل لقانون العقل الاخلاقي الذي اطلق عليه كانت (الواجب الاخلاقي او الالزام) وكلما امتثلت الارادة للواجب الاخلاقي كلما تحرر الانسان من شهواته ورغباته ذلك ان الحرية بحسب المدونة الكانتية تقتضي التصرف وفق قانون العقل وواجبه الاخلاقي فالواجب نوع من القسر يمارسه الانسان ضد ميوله الطبيعية لاجل تحقيق غاية اخلاقية . مثال على ذلك الاحترام كواجب اخلاقي يجب ان يكون منزه عن غاية او منفعة أي ان تكون الارادة الخيرة بذاتها ولذاتها .

٣- **نقد ملكة الحكم ١٧٩٠** : او ما يعرف بالنقد الثالث ويختص هذا المؤلف بالحكم الجمالي ومجاله ملكة الشعور باللذة فالجمال عند كانت لا يمتثل لمعايير ثابتة بل بقدر ما يحققه من لذة في النفس وهذا الحكم توصل اليه بعد ان ناقش فلسفة الاخلاق في مؤلفه نقد العقل العملي ولكن اذا كانت الارادة الخيرة في العقل العملي محكومة بقانون وواجب فأن الحكم الجمالي لا يحكمه قانون بمعنى ان الجمال لدى كانت نسبي والحكم فيه يختلف من فرد الى اخر ان عالم الفن والجمال عند كانت يتبع طروحاته النقدية وتأسيساته المعرفية فهو يجمع بين المعقول والمحسوس أي يجمع بين العقل والرغبة فيقدم الفن على انه حالة من التوازن بين العقل والتجربة بما يعني ان الفن يستمد قواعده من الطبيعة ولكن بشرط حيازة الذات الانسانية مرتبة العبقرية ومن اهم سمات العبقرية :

اولاً : **الاصالة** بمعنى ان الجمال يتحقق عندما يتضمن الفن سمة الابتكار فكانت هنا يمارس نوع التقويض للميتافيزيقيا وتحجيمها للفن ضمن خانة المحاكاة ، على اعتبار ان الجمال والفن لا يتبع معرفة قبلية بل هو ضرب من العبقرية والاصالة ، ذلك ان العبقرية لاتسير وفقاً لقواعد مرسومة او معرفة من ذي قبل، وانما هي ابتكار لا سبيل الى تحديدها سلفاً او التنبؤ به مقدماً . وهنا يستثني كانت الجمال من المعرفة القبلية التي صاغها كقانون في نقده للمعرفة والاخلاق ذلك ان الفن يرتبط بملكة الحكم وهذه نسبية تتبع الشعور ومستوى اللذة المتحققة في كل نفس .

ثانياً : الابداع تتميز العبقرية بقدرتها على ابداع اعمال نموذجية لا تصدر عن التقليد او المحاكاة .

ثالثاً : الخيال والالهام : الخاصية الثالثة التي تميز العبقرية عن المعرفة العلمية هي خاصية قوة الخيال . فأذا كانت المعرفة العلمية تخضع لقوانين منطقية يمكن استنباطها او التنبؤ بنتائجها فأن الفن يتبع الخيال والتصور ولان الخيال يتبع حرية الذات واختياراتها فأن الفن مستبعد من خانة المنطق والمعرفة الاستنباطية لذا لا يمكن التنبؤ بنتائجه ، ومعنى هذا انه ليس في وسع الفنان العبقري ان يشرح لنا بطريقة عملية كيف يحقق اعماله الفنية ، لانه لايعرف هو نفسه من اين يستمد افكاره ولا من أين يأتيه الإلهام . وهذا ليس في استطاعة الفنان ان يبتكر مثل هذه الافكار كيفما شاء وفي أي وقت شاء لأنه لا يملك هو نفسه خطة يسير عليها في عملية الابتكار او الابداع الفني. فضلاً عن ذلك فان الفنان لا يملك من القدرة ما يستطيع معه ان يقدم للاخرين نصائح او توصيات عملية تجعل منهم عباقرة .

مما تقدم يبدو ان شروط المدونة الكانتية تجاه مفهوم العبقرية (الاصالة ، الابداع ، الابتكار) تنزه الفن والجمال عن أي منفعة او غاية حيث اشترط كانت في تحقق اللذة تجاه الجمال ان يتنزه العمل الفني عن أي منفعة وهنا نجد تطبيقاً لفلسفته في فلسفة الاخلاق (نقد العقل العملي) عندما نزه الارادة الخيرة عن أي منفعة مؤكداً ان تكون الارادة الخيرة لذاتها وبذاتها . كذلك الفن يجب ان يكون لذاته بعيداً عن المنفعة او الغاية . لذا توجه كانت بالنقد لمفهوم الغائية من حيث انه استنباط منطقي ينص على ان لكل شيء غاية او هدف . ذلك ان الفن والتذوق الجمالي معرفة ذاتية وهنا يقدم كانت اصلاحاً للمفهوم يناسب مدونته الفلسفية فيربط الغاية او الهدف بالمعنى الذي تعرفه الذات على ذلك يميز كانت بين نوعين من الجمال :

الاول : الجمال المقيد : وهو الجمال الذي يرتبط بمنفعة والقياس بما يجاوره كالفنون القائم على المحاكاة وفنون العمارة

الثاني : الجمال الحر : وهو الجمال المنزه عن المنفعة يكون خالصاً لذاته كالفنون الزخرفية والمجردة والموسيقى ولا يكتفي كانت بالتمييز بين الجمال المقيد والجمال الحر بل ميز ايضاً بين الجميل والجليل ، ورغم ان الجميل والجليل يتبعان ذات الشروط في حكم الجمالي من حيث خاصيتهما الكلية و تنزههما عن المنفعة الا ان :

- **الجميل** : يتبع معرفة حدسية من خلال اللعب بين ملكة الخيال والذهن ويتجه الى التصور (معرفة عقلية) وان الحكم الجمالي هنا يتبع اللذة المستحصلة والاعجاب تجاه نظام الطبيعة (التناسب والتناسق) لذا فهو يقع ضمن خانة المتناهي .
- **الجليل** يتبع معرفة عقلية من خلال اللعب بين ملكة الخيال والعقل فيكون اكثر اتجاهاً الى مجال الاخلاق، وهنا يرتبط الحكم الجمالي بما يحققه من لذة تجاه الظواهر التي لا يمكن مقارنتها او ايجاد تمثيلاً لها او صيغة مفهومية لذا فأن الشعور بالاعجاب والسرور يتجه نحو القداسة والعظمة والجلال بما يجعل من الجليل يتخذ خانة اللامتناهي

الموقف الابستمولوجي الهيجلي وتطبيقاته الجمالية

قدمت المثالية الالمانية لعصر التنوير تنوعاً واضافة جديدة حول نظرية المعرفة بحلول اواخر القرن الثامن عشر عندما صاغ هيجل المنهجية الديالكتيكية كأجراء لتفسير المعرفة وتطورها وتبدأ المدونة الهيجلية من نقد كانت الذي وازن بين المعقول كمعرفة قبلية والمحسوس كمعرفة بعدية فبحسب هيكل المفاهيم لا تشكلها الذات المدركة بل تتشكل من خلال علاقة الذات بمحيطها وهو ما استدعى صياغة منهجه الديالكتيكي كمنهج يؤلف بين الطبيعة والذات .

على ذلك يُصنف هيجل العقل المطلق كانموذجا لنظريته المعرفية ونسقه الفلسفي على اعتبار ان العقل المطلق او الذات المطلقة متضمنة في الطبيعة (فهيجل يرى ان العقل او الذات الانسانية نموذجاً مصغراً ومظهراً للذات العليا) ونتيجة لذلك فقد هاجم الاخير المعرفة العقلية الخالصة لأنها فصلت الفكر عن الوجود ، وبنفس الوقت هاجم المعرفة التجريبية الخالصة لأنها أغفلت السمات العقلية للواقع ولاجل فهم النظرية المعرفية لهيجل بشكل اوسع نتطرق لنسقه الفلسفي :

يعرف هيجل الفلسفة على انها : ((**ضرب خاص من التفكير ، ضرب يتحول فيه التفكير الى معرفة من خلال افكار شاملة**))[1] على وفق ذلك التعريف يفتتح هيجل حديثه الفلسفي في مجال علم المنطق كأداة لقراءة وتحليل اليات تشكل المعرفة وطرق التفكير الصحيح معلناً الروح المطلقة كمحرك اساسي لتشكيلات المعرفة من خلال

[1]) حربي عباس عطيتو، وموزه محمد عبيدان : مدخل الى الفلسفة ومشكلاتها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ط١ ، ص ١٦٢ .

حركتها الجدلية ، ليس على مستوى علم المنطق فحسب بل على كافة الحقول المعرفية (الدين ، السياسة ، التاريخ ، الفن) فجميعها تتبع في تطورها الروح المطلق .

اذن تتأسس المدونة الفلسفية لهيجل في اطارها العام وفقاً لثالوث فلسفي مترابط ينتقل من مستوى الى اخر (المنطق ، الطبيعة ، الروح) فهيجل يقرر ان المعرفة تتحقق من خلال حركة جدلية ذلك ان العقل يتدرج من الفكرة الكلية ليقيم علاقة مع الطبيعة وينتهي ذلك الجدل بفكرة مطلقة وهذا القانون الذي يحكم العقل في تطوره ، وكالاتي :

١- **المنطق :** ويقصد به الفكرة او العقل المطلق (المحض) او الجوهر وهذا يتصف بمعرفة كلية اذ يتخذ هيجل موقفاً لاهوتياً تجاه الفلسفة .

٢- **فلسفة الطبيعة :** ويقصد بفلسفة الطبيعة االفكرة في الاخر أي حوار العقل مع ذاته أي العقل في حالة تخارج وهذه نقيض الحالة الاولى وبالتالي يغدو العقل "لا عقل" أو "اللامعقول

٣- **فلسفة الروح :** وهي المرحلة الاخيرة من الثالوت الهيجلي هو الروح المطلق وفي هذه المرحلة تتشكل الفكرة ونقيضها إذ أنها (المركب) الذي يتكون من القضية ونقيضها، وتتجلى الروح المطلقة فيه عن نفسها في العالم عائدةً إلى ذاتها بعد أن فارقتها في مرحلة النقيضة. هذا ما يعرف بالديكالكتيك الهيجلي .

وهكذا يتبع هيجل موقفاً جدلياً يجمع بين العقل كجوهر اولي مطلق يسبق الوجود ثم يهبط لنقيضه (الوجود او الطبيعة) ليعود الى ذاته ، لذا يُعرف المنطق في الجدل الهيجلي على انه حوار العقل مع ذاته فهيجل يرى ان العقل في الطبيعة نموذج عن العقل المطلق وهذا العقل في تطوره يعود الى ذاته . على ذلك يعتقد الاخير أن المعرفة تنمو تدريجياً من الفكرة ونقيضها لتصل الى فكرة اعلى ، ليس على المستوى الفردي بل على المستوى الجمعي والثقافي وبحسب هيجل المعرفة ليست مجرد تراكم للحقائق، بل هي عملية تطورية مستمرة تتطلب الاستمرار في البحث والتفكير والتواصل.

على وفق ذلك النسق الفلسفي جاء تطبيقات هيجل لمفهوم الجمال والفن في مؤلفه (فلسفة الروح) وذلك التطبيق يبدأ من تعريفه للفن على انه التجلي المحسوس للفكرة فذلك التعريف يلخص نسقه الفلسفي الجدلي الذي نص على الفكرة ونقيضها وصولا الى فكرة اعلى فالفن كفكرة تستمد ادواتها المعرفية من الطبيعة والوجود تنتهي ففكرة جديدة تعبر عن روح الفنان وفي هذه المرحلة تتجلى الحقيقة وبالتالي فأن مصدر الجمال يسكن في الفكرة على ذلك ميز هيجل بين الجمال الطبيعي والجمال الفني :

الجمال الطبيعي : يقرر هيجل ان الجمال يتحقق ضمن خانة الجمال الفني لا الجمال الطبيعي ذلك ان مصدر الجمال الفني هو الفكرة المستقلة بذاتها عندما تتجلى حسياً في الاشياء لتخالف الحقيقة بذلك يرفض هيجل منذ البداية الجمال الطبيعي لأنتمائه الى منطقة الطبيعة ولان الطبيعة تنتمي للمحسوس فجمالها ينتمي الى الجزئي ، لذا

أنحاز هيجل الى الجمال الفني كونه مزيج بين المعقول والمحسوس ، وهو نتاج العقل والروح وما تنتجه الروح اسمى من الطبيعة ، ولان الجمال عند هيجل هو فكرة متصورة توحد بين المفهوم والواقع . فهو يقدم الفكرة (المضمون) على الشكل الخالص .

الجمال الفني : اذا كان الفن بحسب هيجل (التجلي المحسوس للفكرة) فهنا يبدو الجمال فيما يحققه الفن من فكرة (المضمون) اما الوسيط الذي تتجسد من خلاله الفكرة فهو الوعاء الحسي للروح المطلق لذا فأن على الفنان ان يمتلك العدة المعرفية لاختيار الافكار التي تلامس الحقائق الجوهرية للمجتمع وثقافته وهذه هي الغاية الحقة للعمل الفني عند هيجل .

_وبما ان الفن والجمال فكرة فقد ادان هيجل المحاكاة وترديد الواقع داعياً الى التوفيق بين الذات والموضوع بين المعقول والمحسوس فجوهر الجمال يكمن فيما يحققه من توافق بين الفكرة والشكل على ذلك صنف هيجل الفنون الكلاسيكية كأنموجاً جمالياً جمع بين الذات والموضوع الفكرة والشكل ومن هنا نستعرض تصنيفاته للفنون وفقاً لجدليته التاريخية في قراءة تطور الفنون :

١- **المرحلة الرمزية :** وتشمل فنون الحضارت الشرقية القديمة ففي تلك المرحلة وفي هذه المرحلة تتعارض الفكرة مع الشكل فغالباً ما يصور الفن شكلا ما ويتصل بمعنى اخر فتمثال الالهة الام لا يتعلق بالامومة وصورة المراة بمعناها الانساني بل هي رمز للخير والنماء وديمومة الطبيعة

٢- **المرحلة الكلاسيكية :** وتشمل الفنون الاغريقية التي امتازت بالتوفيق بين الفكرة والشكل أي ان الفن هنا جمع بين الفكرة والمعنى المطابق لها ذلك ان العقل او الروح قد تحررت من الطبيعة والمثال لتتخذ جانباً انسانياً .

٣- **المرحلة الرومانسية :** وهي مرحلة تخلص الفكرة من الشكل لتعلو وتتصل بالروح فثمة توافق بين الروح والذات .

((مما تقدم يتضح تجسيد كانت وهيجل الافتراضات العامة المستمدة من عصر التنوير الاوربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر فقد اعتمدا على العقل لمحاربة الخرافة والانحياز والقسوة والممارسات التعسفية من

جانب السلطة المؤسسية كما وضعا الافتراضات بشأن الامال الانسانية التي تعبر عنها الجماليات والرغبة في الخلاص التي تنطوي عليها الاديان وطرق التفكير الحديثة بين النظرية والتطبيق)) [1]

[1]) ستيفن اريك برونز : النظرية النقدية – مقدمة قصيرة جدا، تر. سارة عادل . م. مصطفى محمد فؤاد ، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٦، ص١٠.